114801 ـ عاشق هائم يبحث عن حل لمشكلاته ويريد النصح والتوجيه

السؤال

أنا في حيرة من أمري ، وأحسب نفسي مريضاً نفسيّاً بالحب ، هذه ليس كلمة أستحي منها ؛ لأنها واقعية ، وما سأكتبه لا يهمني من يعرفه ، المهم أن أجد حلاًّ على يد أحد المشايخ الفضلاء ، لأني والله يعلم مدى ما أقاسية من ألم ، ووحشة ، وحرقة قلب ، أريد حلاً ، أريد من يسمعني . حكايتي تبدأ عندما كنت في الثانوية العامة وكنت وقتها أعيش خارج بلدي, عرفت فتاة رقيقة ، وأحسب أنها جميلة ، كلمتها كثيراً جدّاً ، حتى تعلقت بها بصورة لا أحسن وصفها ؛ لأنني لا أظن أنني أستطيع ذلك ، ثم تطور الأمر إلى أن أحببتها ، وعشقتها بشدة ، وصارحتها بذلك ، لكنها صدتني بقوة وقسوة وقالت : إنها ليست للحب ، وإنها فتاة جدية ، ومع ذلك بقيتْ معي تحاكيني ، وكل يوم يزداد ما بداخلي لها من مشاعري التي لم أستطع التحكم فيها إطلاقاً ، وبعد مرور شهرين تقريباً ، وبعدما ذاب قلبي فيها ، وعلقت كل آمالي وأحلامي بها مع علمي التام أنها لا تهتم بذلك ـ كل الحكاية أنها كانت تجد تسلية معي فتتحدث ، هذا ما فيها ـ المهم : بعد هذه الفترة : انتهت امتحانات الفصل الدراسي الأول ، ويوم النتيجة أعلنتْ الحرب على قلبي بصورة شديدة الاحترام ، اتصلت بها حتى أعرف نتيجتها ، وكنت مشتاقاً لها بشدة ، فقالت : إنها حصلت على 99,95 ، فباركت لها من قلبي لأني والله يعلم فرحت لها ، وسألتني عن نتيجتي لكنها لم تكن بعد قد ظهرت في مدرستي ، ثم نطقتْ بكلمة كانت هي السم الزعاف الذي أتجرعه كل يوم لمدة سنتين ، بعد هذه الحكاية ولا أكاد أسيغه ، قالت : إننا لا يمكن أن نستمر هكذا ، ولا بد أن ينتهي ما بيننا من هذه المكالمة ، وأنها ليست على استعداد أن تتكلم معي ؛ لأنها تعلم أنه محرَّم شرعاً ، وبكل قوة قلب عندها وانعدام الرحمة ! أنهت ما بيننا ، وتركتني هائماً على وجهي ، وبقيت ـ والله يعلم بحالي وبؤسي وسقمي ـ كل يوم أرسل لها رسالة استعطاف على المحمول ، بالإضافة للكلام الذي قلته لها في تلك المكالمة الأخيرة الذي لو سمعه الصخر لعطف عليَّ ، ومسح دموعي ، لكنها لم تكن تأبه بكل هذا ، وفي نهاية الأمر أغلقت محمولها ، وأغلقت معه طرق الاتصال بها ، وبقيت بحال بائسة لا يعلمها إلا الله ، وفي هذا الفصل الدراسي حصلت على 86 في المائة ، ومع صدمتي فيها : انصدمت بالنسبة التي لم أتوقعها أساساً ، كل هذه المصائب جعلتني أعلن الانسحاب ، وأنني لن أكمل السنة الدراسية ، ومع محاولات من أهلي أيضاً لم أوافق ، فلم يكن أحد يعرف بهذه المشكلة غيري ، لكنني تحججت بالنسبة السيئة ، بقيت في حال سيئة جدّاً أحاكي ورقتي ، وقلمي ، وأستمع لأغاني الحب والهيام ! التي أذابت قلبي أكثر ، المهم : ومرَّت السنتان بهذه الحال ، وأكثر ، من الألم ، وعندما جئت إلى مصر من فترة كنت كالجائع الذي يبحث عن شيء يأكله ، أبحث بكل الصور عن فتاة كي أحبها ، كنت بغبائي أحسب الحب يأتي هكذا ، لكنني كنت أبحث عن حل للماضي ، وأقنعت نفسي أني أحب فتاة زميلة لي في الكلية ، لكنني بعدها بأيام قليلة أحسست نحوها بملل عجيب ، واكتشفت أنني لا أحبها أبداً ، ولا أشعر نحو أحد بالحب ، إلا تلك التي عرفتها من سنتين ، واليوم عرفت فتاتين عبر الإنترنت ، إحداهن من مصر ، والأخرى من فلسطين ، التي من مصر أحسست تجاهها بحب جارف ؛ لأنها واجهت حكاية أقسى ألماً مني ، أحسست نحوها بالحب ، بعد مرور ثلاثة شهور كنت أحارب نفسي كي لا أحبها ، لكنها جرفتني معها في تيار رياح الحب ، بعد ذلك عرفت فتاة فلسطين ، التي تمكنت مني في أسبوع واحد ، وهي أشدهن ألما على قلبي ، أتعرفون لماذا ؟ لأنها الوحيدة التي

أوهمتني بحبها لي ، كانت تكلمني من عنوان بريدي ليس لها ، تكلمني على أنها فلانة ، وهي قريبتها ، وبعدما ذبت فيها بكل الصور الممكنة لأنني محتاج أساسا لتلك الكلمات التي أمطرتني بها : إذ بها البارحة فقط تخبرني الحقيقة ، قالت : إنها أحبتني فعلا ، ولكن لا تعرف ما دفعها لخداعي في شخصيتها ، أبكت قلبي دماً ، وناراً ، جعلتني أموت كمداً ، وفارقتني ولا أعرف هل سأحاكيها أم لا بعد اليوم ، المشكلة في بنت مصر أنها أكبر مني بأربعة أعوام كوامل ، وفي بنت فلسطين أنها خدعتني ، والمشكلة الأساسية فيَّ أنا ، كل ما كتبتُ هو حقيقي فعلاً ، وحدث ، ولا أتأول منه شيء ، أفتوني ، جزاكم الله خيراً ، هذه حكايتي بأكثر من إيجاز ، أتمنى الرد منكم .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لعلَّ الله أراد بك خيراً حيث يسَّر لك أن تراسل موقعاً إسلاميّاً يُعنى بالفتوى ، والمشكلات الاجتماعية ، لتعرض عليه قصص حبِّك وغرامك ، وانتقالك من معشوقة لأخرى ! فنرجو الله تعالى أن تكون أنت مريداً للخير لنفسك ، وأن تعقل ما نقول ، وأن تعمل به في خاصة نفسك.

ثانياً:

اعلم ـ يا عبد الله ـ أن الشيطان يزيِّن للناس حب الشهوات ، وخاصة في النساء ، والمؤمن يعلم أن هذا ابتلاء واختبار من الله ، الفائز فيه من صرَّف شهوته فيهن بالحلال ، فتزوج ، والخاسر فيه من صرَّفها بالعشق والغرام والزنا ، ونرجو منك التأمل في هذه الآية ، وتتفكر جيِّداً في كلام مفسِّرها ، فإن فيما سننقله لك تعلقاً كبيراً بحالك .

قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) آل عمران / 14 ، 15 .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – :

يُخبر تعالى أنه زيِّن للناس حب الشهوات الدنيوية ، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا ، وغيرها تبع لها ، قال تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) فلمَّا زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات ، تعلقت بها نفوسهم ، ومالت إليها قلوبهم ، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين :

قسم : جعلوها هي المقصود ، فصارت أفكارُهم ، وخواطرُهم ، وأعمالُهم الظاهرة والباطنة لها ، فشغلتهم عما خُلقوا لأجله ، وصحبوها صحبة البهائم السائمة ، يتمتعون بلذاتها، ويتناولون شهواتها ، ولا يبالون على أي وجه حصَّلوها ، ولا فيما أنفقوها وصرفوها ، فهؤلاء كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء ، والعناء ، والعذاب .

والقسم الثاني : عرفوا المقصود منها ، وأن الله جعلها ابتلاءً وامتحاناً لعباده ، ليعلم من يقدِّم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته ، فجعلوها وسيلةً لهم ، وطريقاً يتزودون منها لآخرتهم ، ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته ، قد صحبوها بأبدانهم ، وفارقوها بقلوبهم ، وعلموا أنها كما قال الله فيها (ذلك متاع الحياة الدنيا) ، فجعلوها معبراً إلى الدار الآخرة ، ومتجراً يرجون بها الفوائد الفاخرة ، فهؤلاء صارت لهم زاداً إلى ربهم .

وفي هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء ، وتحذير للمغترين بها ، وتزهيد لأهل العقول النيرة بها ، وتمام ذلك : أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ، ومصير المتقين الأبرار ، وأخبر أنها خير من ذلكم المذكور ، ألا وهي الجنات العاليات ، ذات المنازل الأنيقة ، والغرف العالية ، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار ، والأنهار الجارية على حسب مرادهم ، والأزواج المطهرة من كل قذر ، ودنَس ، وعيب ظاهر وباطن ، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم ، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم ، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة ، ثم اختر لنفسك أحسنهما ، واعرض على قلبك المفاضلة بينهما .

(والله بصير بالعباد) أي : عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة ، والأوصاف القبيحة ، وما هو اللائق بأحوالهم ، يوفق من شاء منهم ، ويخذل من شاء ، فالجنة التي ذكر الله وصفها ، ونعتها بأكمل نعت : وصف أيضا المستحقين لها ، وهم الذين اتقوه بفعل ما أَمر به ، وترك ما نهى عنه .

" تفسير السعدي " (ص 123) .

فكن على حذر من شيطانك ، ومن نفسك ، ومن هواك ، وقارن بين حال السعداء بطاعة الله والأشقياء بمعصيته في الدنيا ، وقارن بين حاليهم في الآخرة ، ولا نراك إلا ستسير في درب الصالحين ، وطريق الأتقياء الطائعين .

واعلم أن فتنة النساء ما كانت لتُحدث في قلب المؤمن من الشر والفساد لولا أنه أطلق بصره في النظر إليهن ، والتأمل في زينتهن ، ولهذا فإن المسلم مأمور بغض البصر عن المحرمات ، كما قال تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) النور/ 30 .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله ـ :

أما اللحظات : فهي رائد الشهوة ، ورسولها ، وحفْظها أصلُ حفظ الفرج ، فمن أطلق نظره : أورده موارد الهلاك ... .

والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ؛ فإن النظرة تولِّد خطرة ، ثم تولِّد الخطرة فكرة ، ثم تولِّد الفكرة شهوة ، ثم تولِّد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ولا بد ، ما لم يمنع منه مانع ، وفي هذا قيل : " الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على أَلِمِ ما بعده " ...

ومن آفاته : أنه يورث الحسرات ، والزفرات ، والحرقات ، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ، ولا صابراً عنه ، وهذا من أعظم العذاب : أن ترى ما لا صبر لك عنه ، ولا عن بعضه ، ولا قدرة لك عليه .

" الجواب الكافي " (ص 106) ، وهو وصف دقيق لحالتك ، وننصحك بقراءة هذا الكتاب ، فهو مؤلَّف لهذه المسألة دون غيرها .

وانظر جواب السؤال رقم : (20229) ففيه بيان الوسائل المعينة على غض البصر .

وتجد فوائد غض البصر في جواب السؤال رقم : (22917) .

وقد ذكرنا في جواب السؤال رقم : (33651) طرق مواجهة فتنة النساء .

وفي جواب السؤل رقم : (20161) بيان حل مشكلة الشهوة وتصريفها .

ثالثاً:

أخي السائل : هل تريد السعادة ؟ هل ترجو الطمأنينة ؟ وهل ترنو نحو الفرح والسرور ؟ هل تريد استبدال ما بك من شقاء وبؤس ونكد إلى أضدادها ؟ إن كان الجواب في كل ذلك : نعم ـ وهو ما نرجوه منك : فعندنا ما ننصحك به لذلك ، فتأمل معنا الآية وتفسيرها .

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد/ من الآية 11 .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – :

الآية الكريمة آية عظيمة ، تدل على أن الله تبارك وتعالى بكمال عدله ، وكمال حكمته ، لا يغيِّر ما بقوم من خيرٍ إلى شرٍّ , ومن شرٍّ إلى خير ، ومن رخاء إلى شدة , ومن شدة إلى رخاء : حتى يغيروا ما بأنفسهم , فإذا كانوا في صلاح واستقامة وغيروا : غيَّر الله عليهم بالعقوبات ، والنكبات ، والشدائد ، والجدب ، والقحط , والتفرق ، وغير هذا من أنواع العقوبات ، جزاءً وفاقاً ... .

وقد يكونون في شرٍّ ، وبلاء ، ومعاصي ، ثم يتوبون إلى الله ، ويرجعون إليه ، ويندمون ، ويستقيمون على الطاعة : فيغيِّر الله ما بهم من بؤس ، وفرقة ، ومن شدة ، وفقر ، إلى رخاء ، ونعمة ، واجتماع كلمة ، وصلاح حال ، بأسباب أعمالهم الطيبة ، وتوبتهم إلى الله سبحانه وتعالى .

" فتاوى الشيخ ابن باز " (9 / 297 , 298) .

وانظر في تحريم الموسيقى والغناء المصاحب لها : أجوبة الأسئلة : (5000) و (5011) و (43736) و (96219) .

وأخيراً :

نوصيك بتقوى الله تعالى ، ومراقبته في الصغيرة والكبيرة ، واحرص على أن يراك حيث أمرك ، وأن لا يراك حيث نهاك ، وعجِّل بالزواج ؛ فإنه السبيل الوحيد لحفظ شهوتك من وضعها في غير مكانها ، والجأ إلى الله بالدعاء أن يخلصك من شرور نفسك ، وسيئات أعمالك .

ونسأل الله أن يطهر سمعك وبصرك وجوارحك من الحرام ، وأن يحبب إليك الإيمان ويزينه في قلبك ، وأن يكرِّه إليك الكفر والفسوق والعصيان .

والله الموفق